

الشعلة ألقى الضوء على مراحل مهمة من حياة "محرر الهند":

كتاب "غاندي وقضايا العرب والمسلمين" .. معالم خريطة إنسانية لقيم التسامح



• سمو رئيس الوزراء
لدى تسليمه نسخة من
كتاب "غاندي"

البلاد | بقلم: عادل عيسى المرزوق

يمثل كتاب "غاندي وقضايا العرب والمسلمين" إضافة مهمة للمكتبة العربية والعالمية لواء من القمم على مستوى القادة والمفكرين والملمهمين، وهو المهاتما غاندي (محرر الهند)، ولعل الزوايا الأكثر عمقاً من بين الكثير من الكتب التي صدرت حول شخصية وسيرة حياة

غاندي، أن الكتاب الجديد تعمق بشكل مذهل في استحضار قيم التسامح والتعايش والسلام والحرية والعدالة ونبذ التطرف والعنف والإرهاب من مواقف ووقائع وأحداث حضر فيها غاندي، وبقيت حية تحتاجها الأجيال وتحتاجها الشعوب في عالم اليوم الذي تتلاقضه موجات مؤلمة هي ذاتها الموجات التي تصدى لها غاندي من الظلم والتفرقة والعنف والتطرف والعنصرية.



محاكمة التطرف والإرهاب

ويمكن القول إن مضامين هذا الكتاب القيم، تجلت في حفل التدشين يوم الأربعاء الماضي العاشر من أكتوبر الجاري برعاية وزير الخارجية الشيخ خالد بن أحمد بن محمد آل خليفة تزامناً مع مرور 150 عاماً على ميلاد المهاتما غاندي، فكتاب (غاندي وقضايا العرب والمسلمين) الصادر عن الدار العربية للعلوم (ناشرون)، لمؤلفه الأستاذ عبد النبي عبدالله الشعلة الرئيس السابق للمجعية البحرينية، هو كتاب مؤثر في محاربة التطرف والإرهاب كما وصف وزير الخارجية، وأن أكثر ما يفيد في مواجهة تلك المظاهر هو قراءة بعض ما قاله المهاتما غاندي، فقصته قصة ملهمة للغاية، وفي السياق ذاته، يتحدث المؤلف الشعلة مركزاً على أن الهدف الرئيس من هذا الكتاب هو التركيز على استخدام أسلوب الانعاف في إحداث أي تغيير، فالمهاتما غاندي يعد نموذجاً في تحقيق التغيير بالأساليب السلمية التي ساعدته في استقلال بلاده عن الأمبراطورية البريطانية رغم أنها كانت درة التاج البريطاني، وهي الخطوة التي أسهمت في خروج البريطانيين من منطقة شرق السويس.

• وزير الخارجية متسلماً نسخة من كتاب "غاندي" من الشعلة



• الشعلة والكتاب عادل المرزوق وكريمته

وهو في زخم مرحلة نهمه وولعه بدراسة مختلف الأديان عندما كان يسعى لتحديد خيارات ومسارات بحثه عن الحقيقة، لذلك، فإن أي باحث لن يجد صعوبة في اكتشاف قدر كبير من نفور غاندي من تأكيد الفكر اليهودي على تمييز اليهود وتفوقهم على سائر البشر والأمم، فقد قال: "كان اليهود القدماء يعتبرون أنفسهم، من دون سائر الناس، شعب الله المختار، فكان من نتيجة ذلك أن أنزلت بأحدهم عقوبة غريبة ظالمة".

مواقف ومبادئ تتحدى الزمن

عن جدوى الكتابة عن المهاتما غاندي في هذا الوقت بالذات، يضيء المؤلف الشعلة إجابة أخرى، فإن من بين محاور الإجابة أيضاً أن هناك فئة أو نخبة من البشر لا يموتون.. يكون أحياء.. يظل حضورهم ماثلاً أمامنا دائماً، يرفضون أن يتواروا أو أن يغيبوا، تبقى مواقفهم ومبادئهم ورؤاهم صامدة تتحدى الزمن، لا تضر، ولا يخفت بربقها.. أناس يظلون مصدر أمل وإلهام، تتجدد الحاجة إليهم، ويشهد العطف إلى مناهلهم، وتصرخ الضمائر لتجديد الوفاء لهم. غاندي في مقدمة ذلك النوع من البشر في عصرنا الحديث، وأصبح بالفعل واحداً من الخالدين، ومن أبرز القادة والمفكرين، فقد عزز قيم الحرية والعدالة والتسامح، وحارب فكر العنف والتطرف والإرهاب والاستبداد، ونجح في استخدام أدوات المقاومة السلمية والانعاف في تحقيق ألامه وأهداف أمته وتحرير بلاده وانتزاعها من براثن الأمبراطورية البريطانية، التي كانت وقتها من بين أصلب وأعتى القوى في العالم.

كان غاندي أبرز مفكر وأول قائد في التاريخ الحديث قام بفضح وتعرية خطورة الإرهاب والعنف قبل أن تصبح هاتان الكلمتان لقمة سائفة وطبقاً على مواثد الوجبات الخطابية لسانة العالم وقادته في أيامنا هذه. غاندي رفض العنف منذ البداية كبداً وأسلوب وحتى كأداة لتحقيق أكثر المطالب عدالة وإنصافاً.

ولا يوجد من بين قادة العالم في وقته وحتى اليوم من تعرض شخصياً، كما تعرض غاندي، للانداء الجسماني والنفسي والضرب المبرح والإهانة وظل ملتزماً بالانعاف ولم يحاول أن يرد الأذى أو يدافع عن نفسه باستخدام القوة أو حتى باستخدام يديه العاريتين، وليس هناك قائد مثله رفض بشدة أن يزرع شعبة لاستخدام العنف في أي صورة من صوره وهو يكافح ضد الظلم والاستعباد، ومن أجل الحصول على حقوقه المشروعة.

على نقيض ذلك ويتمسك بالترام ثابت راسخ فكرياً وعملياً بثقافة التسامح والتعايش والسلم الإنساني، وهذا ما يبرر بل يفرض زيارة المهاتما غاندي والكتابة عنه حتى بعد مضي قرابة سبعة عقود على وفاته.

إلى جانب ذلك، يشير المؤلف الشعلة إلى مساحة واسعة من فكر المهاتما غاندي لم تتم تغطيتها وتناولها بالقدر الذي تستحقه، التي انعكست على مواقفه من قضايا الإسلام والأمة العربية، والتي سأحاول استكشافها ورصد منابعها ومتابعة نشأتها وتطورها بشيء قليل من ملترماً حتى النخاع، إلا أن توجهاته ومواقفه، انتمت بقدر بالغ من الاهتمام والتقدير للدين الإسلامي، وانسجاماً تاماً مع قيمه، وإكباراً فائضاً لنبي الإسلام ورسالته، وتماجياً جلياً مع المسلمين وقضاياهم.

رفض النظريات والممارسات الصهيونية

في فصول متنوعة من هذا الكتاب، نقرأ أن غاندي أكد في مواقع ومناسبات مختلفة أنه مسلم بقدر ما هو هندوسي، وأنه في وعيه الديني لا يبتعد كثيراً عن الفكر الإسلامي في تحديد الوجود الإلهي أو الذات والصفات الإلهية وطبيعة الخالق. ونقرأ أن الكثير من المتطرفين الهندوس، كانوا ولا يزالون، يعتقدون بل يؤمنون بأن غاندي كان أقرب إلى الإسلام والمسلمين، بل يجزمون أنه ضحى بمصالح ومكتسبات الهندوس لصالح المسلمين.. هذه القناعة جعلت خلية منهم تقوم بتخطيط وتنفيذ عملية اغتياله وتصفيته بعد إعلان استقلال الهند. في الوقت نفسه، فإننا سنرى غاندي يعلن رفضه وبشدة للنظريات والممارسات الصهيونية، كما سنرى مؤشرات واضحة على تجنبه، منذ البداية، الاقتراب من تخوم الفكر اليهودي، وعدم محاولته الاطلاع على مبادئ وأسس الديانة اليهودية، حتى

أن نضيف إلى ذلك الكنز الزاخر بالعطاء الفكري والفني الذي رسخ مكانة هذا الإنسان في سجل الخلود؛ تلك التساؤلات طرحها المؤلف ليقول: "يمكن للجواب عن هذا السؤال أن يمتد على أكثر من محور، من أهمها، دون شك، حاجتنا اليوم؛ نحن بالذات، كشعوب أو كامة عربية، أكثر من أي وقت مضى، وحاجة منطقتنا العربية، أكثر من أي منطقة أخرى، إلى إيقاظ واستنهاض قيم ومبادئ المحبة والتسامح والتعايش والسلام التي نادى بها وطبقها المهاتما غاندي، وحاجتنا الملحة أيضاً إلى الخروج من دوامة الفتنة والتناحر والقتال وذلك باستنفاص الصرخات المدوية التي أطلقها غاندي بقوة في وجه التشدد والعنف والإرهاب".

أشنع صور التطرف

يوجز المؤلف القول بأن عالمنا العربي يشهد، منذ فترة ليست قصيرة، أفضح وأشنع صور التطرف والعنف والإرهاب، تنفيذها وتعززها أطروحات وخطابات تشديد وتسير، تتلطف باسم الدين، تحرض على الكراهية والحقد والانشار المجتمعي، وتدعو إلى الاقتتال وسفك الدماء، وتبرر القتل وتباركه بحماسة وقناعة واعتزاز، وتعد القتللة وتفريهم بالجزاء الأوفى، وهناك أطروحات تمجد العنف والإرهاب تركز على مفاهيم مغلوطه، وثقافة مشوشة، ومنظومة فكرية مختلة، ومنحى أخلاقي وسلوكي شان، وإذا لم يتم التصدي لهذه الأطروحات وحصارها، فإنها ستؤدي، لا محال، إلى ترسيخ هذا الانحراف الفكري الخطير، وستدفع الأمة بأسرها إلى هاوية اليأس والإحباط والتأزم، وستجرها إلى حافة الاضمحلال وتخرجها بدنيها ودنياها من مسار التاريخ والحضارة الإنسانية.

في ظل هذه الأوضاع العنصرية العنصرية تبرز، بإلحاح شديد، الحاجة إلى استنفاص رسائل السماء واستنهاض جگم العقلاء والحكماء وعلى رأسهم المهاتما غاندي وتراثه الفكري الصامد الذي يقف

العربي عن المهاتما غاندي تراود المؤلف الشعلة، مؤملاً من ذلك العمل إضافة قيمة إلى المكتبة العربية الفقيرة نسبياً إلى مثل هذه الأعمال، على الرغم من دور غاندي في إرساء قواعد سياسة الهند الصديقة والمناصرة لقضايا العالم العربي والأمة الإسلامية.

هناك أكثر من واعز دفع المؤلف وشيعة على الشروع في إنجاز هذه المهمة، فإلى جانب المصادر الكثيرة المتوفرة والمتنوعة، فإن هذا الإنسان كان قد شد المؤلف عندما تعرف عليه قبل أكثر من أربعين عاماً، وأصبح منذ ذلك الوقت يتابعه ويبحث ويقرأ عنه ويحرص على مشاهدة الأفلام الوثائقية ويحضر الندوات والمؤتمرات والمحاضرات المتعلقة به.

معالم على الخريطة الإنسانية

بين طيات هذا الكتاب، سنتعرف على الوعي الديني وقرب غاندي من الإسلام والمسلمين، وسنجد القائد غاندي الراضف للنظريات والممارسات الصهيونية، وسنجد من وإلى الهند.. نحو إفريقيا وأوروبا ومعالم أخرى على الخريطة الإنسانية وقصة التجارب مع الحقيقة، لقد تعمق المؤلف في الدعوة إلى زيارة (المهاتما غاندي) بعد مضي قرابة سبعة عقود على وفاته، والمعنى في ذلك، العودة إلى تراثه الفكري الصامد الذي يقف على نقيض ذلك ويتمسك بالترام ثابت راسخ فكرياً وعملياً بثقافة التسامح والتعايش والسلم الإنساني.

لماذا؟ وما جدوى الكتابة الآن عن أي إنسان، مهما بلغت أهميته وعظم شأنه وعلا قدره، مثل المهاتما غاندي، وذلك بعد مضي نحو سبعة عقود على وفاته، وبعد أن أتخمت المكتبات واكتظت رفوفها بالمئات من الكتب التي دونت عنه، أثناء حياته وبعد وفاته، إلى جانب ما كتبه وسجله هو عن نفسه وعن أفكاره من مجلدات؟ وما عسانا



• أحد الحضور يحرص على تسجيل الكاتب إهداء له في صدر الكتاب



• جانب من التوقيع على كتاب "غاندي"